جمعيـة الآداب العربيـة
في القـدس

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

كان تأسيس الجمعيات في عهد السلطان عبد الحميد صعباً ، والجمعيات القليلة التي أسست كانت معرضة للإغلاق ، كما حدث في سنة ١٨٨١ عندما أغلقت الحكومة جمعية المقاصد الخيرية واستولت على مدارسها بعد ظهور مناشير في بيروت ودمشق وغيرهما من المدن السورية تنتقد الإدارة العثمانية .

بحثت مادة هذه المناشير في مقالة نشرت في هذه المجلة[١] تحت عنوان « نصوص وحقائق لم تنشر عن أصل النهضة العربية في سورية » . ومنذ ذلك الحين وأنا آمل اكتشاف جمعيات أو هيئات لم يذكرها مؤرخو الأدب العربي الحديث . فلما نشرت يوميات خليل السكاكيني[٢] قرأت فيها جملة قصيرة هذا نصها : « قلت في خطاب قديم في جمعية الآداب الزاهرة : في ساحات الرياضة تتعلم الناشئة الإقدام والبسالة ... » وجاء في هامش الصفحة بقلم هالة السكاكيني ناشرة يوميات أبيها أن هذه الجمعية أسست سنة ١٨٩٨ في مدينـــة القدس . وكان رئيسها داود الصيداوي[٣] ، وأعضاؤها عيسى العيسى[٤] وفرج فرج الله وافئيم مُشبّك وشبلي الجمل وجميل الخالدي ونخلة ترزي وخليل السكاكيني . وهؤلاء كلهم نصارى الا جميل الخالدي .

---

(١) المجلد ٤٢ العدد ٤ (تشرين الأول ١٩٦٧) ص ٧٧٥ - ٧٩٣

(٢) كذا أنا يادنيا . المطبعة التجارية بالقدس (١٩٥٥) ص ٤٨

(٣) كان مدير بنك كريدي ليوني في يافا .

(٤) أسس فيما بعد جريدة فلسطين في يافا وكان محررها منذ ١٩١١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم أجد شيئاً عن هذه الجمعية زيادة على ذلك . فلما ظهرت الترجمة العربية لكتاب المستشرق الروسي كراتشكوفسكي[١] راجعتها بعناية لأنه زار القدس في سنة ١٩١٠ ، ولكنه يذكر ذلك ذكراً مقتضباً ، دون الاشارة إلى جمعية ما ، مع أن الصورة الشمسية التي ينشرها تبين جميل الخالدي وخليل السكاكيني ومعهما إسعاف النشاشيبي[٢] وبندلي الجوزي[٣] .

يشكو السكاكيني في اليوميات ضيق المجال أمامه للعمل في ميدان التعليم . فقد تعلم في المدرسة الأولية لطائفة الروم الأرثوذكس ثم في مدارس المبشرين الانكليز ، ولكنه وجد أن هؤلاء لا يوظفون من طلابهم القدماء إلا من اعتنق المذهب البروتستانتي واستعد للعمل تحت إرشادهم قساً أو مبشراً أو معلماً . ولم يخالفوا خطتهم هذه إلا مرة واحدة ، عندما عينوا معلماً للغة العربية في مدارسهم في مدينة القدس أرثوذكسياً اسمه نخلة زريق[٤] يعتبره السكاكيني أستاذه سواء أعلمه في مدرسة أم لم يعلمه[٥] .

---

(١) مع المخطوطات العربية (موسكو ١٩٦٣) ص ٥٦ (والصورة مقابل ص ٤١) .

(٢) أصبح فيما بعد مفتشاً للغة العربية في مدارس الحكومة في فلسطين وعضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق .

(٣) من القدس ، واستاذ جامعة قازان ثم جامعة باكو .

(٤) ١٨٥٩ – ١٩٢١ ولد في بيروت وتعلم في مدارس الطائفة الارثوذكسية . ألمّ بالانكليزية . « حضر مجالس رجال النهضة » وحفظ كثيراً من القرآن والحديث والشعر . حافظ على زيه العربي طول حياته . كان عضو شرف في المجمع العلمي العربي (راجع كلمة رشيد بقدونس في المجلد الأول من مجلة المجمع العلمي العربي ص ٣٥١ – ٣٥٢) . وصفه رئيس المجمع بأنه من علماء اللغة الواقفين على أسرارها (المجلد الثاني من مجلة المجمع ص ٣٦٤) .

(٥) راجع تأبينه بقلم خليل السكاكيني في مجلة المقتطف (المجلد ٥٩ ص ٤٦٧ – ٤٧١ و ٥٤٠ – ٥٤٤)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول السكاكيني : إن مدارس المبشرين الانـكليز في مدينة القـدس كانت تعلم اللغة العربية ولكنها « العربية النصرانية » أي لغـــة التوراة والإنجيل ، لا لغة القرآن والأدب العربي . فلما أصبح نخلة زريق معلماً في أهم مدرسة من تلك المدارس جعل منها « مدرسة وطنية تخرج مبشرين بالوطنيـــة كما كانت تخرج مبشرين بالدين » . وهذا كلام فيه مبالغة ظاهرة ، فالمبشرون لم يغيروا خطتهم ، وتعليم العربية ظل عندهم واسطة لا غاية . أما تعليم الوطنية فكان بعيداً عن أفكارهم وغاياتهم . ولا نعلم لا من السكاكيني ولا من غـيره مادة ما علّمه زريق أو على الأقل أسمـاء الكتب التي علّم منها .

يظهر من القرينة أن نخلة زريق بدأ التعليم في القدس قبل نهاية القرن التاسع عشر ، ويمكن الاستنتاج أنه كان في تلك المدينة عندما أسس بعض طلابه جمعية الآداب العربية . فهل كان ذلك بإرشاده ؟ ولكن يستنتـج من حديث دار في منزله في ٢١ ديسمبر ١٩٠٨ عن « جمعية العلماء » بحضور حسين سليم الحسيني أن السكاكيني وأستاذه كانا يفضلان أن تكون هـذه مشتركة بين المسلمين والنصارى . فهل معـنى ذلك أن جمعية الآداب الـتي كانت مشتركة بين هؤلاء وهؤلاء قد ماتت قبل ذلك التاريخ ؟ يرجح ذلك لأنه لم يذكرها أحـد في تلك السنة عنـدما تأسس بمساعي إسماعيـل بك الحسيني فرع لجمعيـة الإخـاء العربي (١) في مدينة القدس ، وهذه الجمعيـة كانت للمسلمين والنصارى على السواء .

(١) اسمها الكامل جمعية الإخاء العربي العثماني . اسست في استانبول في سبتمبر سنة ١٩٠٨ بعد إعلان اعادة الدستور . كان من غاياتها رفع شأن اللغة العربية في الولايات العربية في الدولة العثمانية ونشر التعليم فيها . أغلقتها الحكومة العثمانية بعد ثمانية أشهر من تأسيسها وذلك بعد خلع السلطان عبد الحميد وتسلط جمعيـة الاتحاد والترقي على الدولة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

- ٢ -

فرضتُ بناءً على هذه القرائن أن جمعية الآداب العربية لم تعمر طويلاً ، وأنه يجوز القول أنها لم تعمر أكثر من عشر سنوات . ولكني ظللت حائراً في أمر هذه الجمعية الفريدة في عهدها ، متسائلاً : هل تركت أثراً لغوياً أو أدبياً ؟ لا شك أنها عنيت بالخطابة كما يظهر من إشارة السكاكيني إلى خطاب له فيها . ولكننا نجهل أسماء غيره من الخطباء ، ولا ندري هل نشرت خطبهم في مجلات عاصرت الجمعية كمجلة الأصمعي ومجلة القدس ومجلة النفائس[١] .

تركتُ الموضوع آسفاً حتى كانت المفاجـــأة السارة ، وهي اكتشاف أوراق مهمة عن جمعية الآداب العربية في سجلات تبشيرية بريطانية تثبت اهتمامها بشؤون التعليم واللغة العربية .

وتمهيداً لبحث مادة هذه الأوراق أقول كلمـــة عن مدارس المبشرين الانكليز في مدينة القدس وعلاقتها مع المطران الأنكليكاني في تلك المدينـة ومع رؤساء الطوائف النصرانية الشرقية . كان من أغراض هذه المدارس تغيير المذهب ، أي أن طلابها من أبناء الطائفة الأرثوذكسية مثـلاً كانوا يُدرّبون أثناء الدراسة حتى يعتنقوا المذهب البروتستانتي قبل إكمالها . وقد أثار ذلك احتجاج الرؤساء الروحيين في فلسطين واحتجاج بعض رجال الدين في انكلترا ، ولكن السياسة لم تتغير حتى عُين الدكتور جورج بلايث[٢] في سنة ١٨٨٧ مطراناً جديداً في القدس وطُلب منه خـلافاً لسياسـة من سلفه أن يكون التعليم مجرداً من غاية تغيير المذهب . فأسس هو مدرسة

---

(١) راجع الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن لناصر الدين الأسد (القاهرة ١٩٥٧) ص ٤٤

(٢) راجع كتابنا بالانكليزية — British interests in palestiue 1800 — 1901 (o × ford, 1961) p. 222 — 229

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جديدة باسم سان جورج اشتهرت بمدرسة المطران ، وذلك بجانب ما سبقها من مدارس المبشرين وخاصة مدرسة المطران غوبات التي عُرفت بمدرسة صهيون لأنها أقيمت على الجبل المسمى بهذا الاسم في مدينة القدس ، ثم المدرسة الكلية الإنكليزية .

وقد علّم نخلة زريق في هاتين المدرستين القديمتين لا في مدرسة المطران الجديدة . كانت مدرسة صهيون أهم مدارس الإنكليز التي عُنيت بتعليم أبناء النصارى العرب ، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر بدأ المبشرون يدربون بعض طلابها لاستخدامهم في التعليم في المدارس الأولية التبشيرية ، ثم فتح المبشرون في أوائل القرن العشرين الكلية الإنكليزية للغاية نفسها ، ووضعت المدرستان تحت إدارة مدير واحد . وقبل إعلان الحرب العالمية الأولى كان في الكلية نحو ثلاثين طالباً ، وفي مدرسة صهيون ضعف ذلك (١).

لم يتصل مؤسسو جمعية الآداب العربية لا مع مدرسة صهيون ولا مع الكلية الإنكليزية ، مع أن الصيداوي والسكاكيني تعلما في الأولى ، وكان نخلة زريق أستاذ السكاكيني في الثانية . ولا شك أن سبب إيثارهما مدرسة المطران هو السياسة الجديدة في التعليم التي اتبعها مؤسسها الدكتور بلايث. والوثائق التي اكتشفناها تفصل غرض جمعية الآداب ، وهذا بيان عنها :

١ – كتاب مؤرخ في ١٨ تموز ١٩٠٣ باللغة العربية والإنكليزية موجه من الصيداوي والسكاكيني بالنيابة عن « جمعية الآداب العلمية العربية » إلى المطران بلايث .

(١) هذه الحقائق والأرقام مستمدة من التقارير السنوية التي أصدرتها الجمعية التبشيرية الكنسية وهذه هي تفصيلاً C. M. S, Annual Reports 1877 - 78 P. 60, 1904 — 1905, P. 144; 1913 - 1914, P. 90

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ — كتاب مؤرخ في ٣ آب ١٩٠٣ باللغة العربية والإنكليزية موجه من الصيداوي والسكاكيني بالنيـــابة عن « الجمعية العلمية العربية » إلى المطران بلايث .

٣— كتاب مؤرخ في ٥ آب ١٩٠٣ باللغة الإنكليزية موجه من المطران بلايث إلى السكاكيني .

٤ — اتفاق مؤرخ في ٢٤ آب ١٩٠٣ باللغة الإنكليزية بين المطران بلايث والصيداوي رئيس جمعية الآداب .

٥ — كتاب مؤرخ في ٢٦ آب ١٩٠٣ باللغة الانكليزية موجه من الصيداوي والسكاكيني بالنيابة عن « جمعية الآداب » إلى المطران بلايث .

٦ — كتاب مؤرخ في ٩ كانون الثاني ١٩٠٤ باللغة العربية والانكليزية موجه من الصيداوي وعيسى العيسى بالنيـابة عن « جمعية الآداب » إلى المطران بلايث .

يظهر من نص الكتاب الأول وجود اتفاق سابق بين الجمعية والمطران أن تُعدّ الجمعية منزلاً لإقامة الطلاب الذين يتعلمون على نفقتها في مـدرسة المطران . وقد نجح هذا المشروع في سنته الأولى ١٩٠٢ — ١٩٠٣ فزاد عدد الطلاب في المنزل من سبعة إلى سبعة عشر . والجمعية تشكر المطران في كتابها على مشاركتها في هذا العمل الصالح وتخبره أنها ستزيد عدد الطلاب إلى أربعة وعشرين وستدفع ثلاثة جنيهات انكليزية عن كل طالب . ولكنها ترجو المطران أن يبقي المنزل باسمه نيـــابة عن الجمعية « وذلك تأكيداً لحمايتكم عملنا هذا » . وقد تردد المطران في قبول ذلك ، وشاور القنصل البريطاني ، ثم فاوض الجمعية إلى أن تم الاتفاق بين الطرفين في ٢٤ آب ١٩٠٣ وهو ينص على أن تكون إدارة المنزل بيد المطران كجزء من مدرسته التي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وافقت الحكومة التركية على فتحها ، وأن تتولى لجنة إدارة المنزل يكون اثنان من أعضائها أعضاء في الجمعية ، وأن يقبل المطران كل سنة ثلاثة طلاب مجاناً في مدرسته ويكون هؤلاء من أبناء الطائفة الأرثوذكسية .

وفي الكتاب المؤرخ في ٢٦ آب نص مهم هذه ترجمته : « نطلب أن لا يتعرض أحد لحرية هؤلاء الطلبة في أمور دينهم وأن يحرص ذوو الشأن على أن يؤدي الطلاب واجباتهم الدينية في كنيسة طائفتهم كل يوم أحد وأيام الأعياد » . والكتاب المؤرخ في ٩ كانون الثاني يدل على نجاح المشروع وفيه بيان وتحقيق بما تركته الجمعية في المنزل من أثاث وما بقي في حسابها من رصيد .

— ٣ —

ملحق بالوثائق المكتوبة باللغة العربية

(أ)

القدس في ١٨ تموز ١٩٠٣

لسيادة الحبر الجليل السيد جورج بليث أسقف الكنيسة الانكليكانية في القدس .

أيها السيد الجليل . بمناسبة انتهاء السنة المدرسية الحالية قد قررت جمعية الآداب العلمية العربية في جلستها التي عقدت بتاريخ ٣ تموز ١٩٠٣ أن ترفع لسيادتكم خالص شكرها وممنونيتها لمساعدتكم إياها في العمل الذي أخذت على نفسها القيام به . وهي تؤمل من لطفكم أن لا تحرموها من هذه المساعدة الثمينة في المستقبل .

إن مضيفنا لما افتتحت أبوابه لقبول التلامذة في أول هذه السنة المدرسية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم يكن فيه إلا سبعة منهم لكن عددهم أخذ بعد ذلك بالازدياد حتى بلغوا الآن سبعة عشر تلميذاً وكلهم قد اتبعوا دروس مدرستكم الخارجية بدون أن يستوفى منهم رسم التعليم وهذه منة منكم تقدرها الجمعية حق قدرهـــا ومساعدة نذكرها بالشكر الجزيل .

أما في السنة القادمة فقد قررت الجمعية أن تهيىء محلاً لقبول أربعة وعشرين تلميذاً في مضيفها ولا تشك بأن يكون لهم محل في مدرستكم الخارجية وهي ستجتهد أن تدفع عن كل واحد منهم رسم المدرسة المعلوم أعني ثلاث ليرات انكليزية .

ثم ان الجمعية تغتنم هذه الفرصة لكي تعرب لكم عن ممنونيتها عما جاء في النشرة (التي تكرمتم بإرسال نسخة منها لها) من كلمات الثنـاء على عملها ... غير أنه لا بد لنا أن نقول إن المسؤولية التي تكرمت سيادتكم بحملها عنا في هذه السنة نرجو أن لا ترفضوها في السنة المقبلة ... أما من جهة استئجار البيت فهذا مما لا يمكن أن يكون إلا باسم سيادتكم بالنيابة عن جمعية الآداب كما كان في هذه السنة وذلك تأكيداً لحمايتكم عملنا هذا ...

وهناك بعض أشياء أخر وردت في منشور سيادتكم تستدعي النظـــر والبحث . ولهذا فقد قررت الجمعية تعيين ثلاثة من أعضائها وهم الخواجات داود صيداوي وشبلي جمل وعيسى داود عيسى وفداً لينوبوا عنها في مقابلة سيادتكم ونرجوكم أن تعينوا الوقت الموافق لذلك . . .

عن جمعية الآداب العلمية العربية

الرئيس **الكاتب**

داود صيداوي **خليل سكاكيني**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— ب —

أيها السيد الجليل

عرفنا من الوفد أن نتيجة الجلسة التي دعوتموه للمفاوضة معكم فيهـــا ثلاثة أفكار :

أولاً : أن تتصرف الجمعية بمضيفها ولكن بدون حمايتكم .

ثانياً : أن يكون المضيف لكم بدون أقل علاقة مع الجمعية وتكونون أنتم المسؤولين أمام الأهالي .

ثالثاً : أن تؤلف عمدة من ثلاثة أعضاء من الجمعية ، واحد منهم مدير المضيف تحت رئاستكم لادارة شؤون المضيف لمدة سنة .

فقرت الجمعية في جلستها المنعقدة في ٣١ تموز على استحسان الرأي الثالث لأنها رأته أعدل إذ لا ينفرد فيه أحد الطرفين دون الآخر ، وأنسب لمصلحة مضيفنا إذ لا يعدم مع هذا الرأي اهتمامكم ، وأبقى لهذه العلاقة القديمة الجميلة التي بيننا وبينكم والتي نود من كل قلوبنا أن تكون دائمة .

والجمعية تنتظر جوابكم وترجوكم أن تقبلوا احترامانها الفائقة .

عن الجمعية العلمية العربية

الرئيس **الكاتب**

داود صيداوي **خليل سكاكيني**

لسيادة الحبر الجليل اللورد بليث أسقف القدس والمشرق

عن القدس في ٣ آب غ سنة ١٩٠٣

— ج —

أيها السيد الجليل

لنا الشرف بأن نعرف سيادتكم أنه بحسب الاتفاق المتبادل بينها وبين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجمعية على قبول ثلاثة أولاد في مدرسة مار جرجس الخارجية مجاناً مقابل تسليمكم مضيفها صار إرسال ثلاثة أولاد من ذوي الحاجة انتخبتهم الجمعية ...

وفي هذه الفرصة لا ترى الجمعية بدأ من إحاطة علم سيادتكم بمجمل قيمة ما تركته الجمعية من الأثاث في المضيف وما تبقى من النقود بعد انتهاء السنة المدرسية الماضية ... تركت من الأثاث ما تبلغ قيمته بحسب دفاترها ألف ومائتان وخمسة عشر فرنكاً وخمسة وعشرين سنتيماً ... أما الرصيد النقدي الباقي في يد الخواجا شبلي جمل فهو ثمانون فرنكاً وستون سنتيماً وقد طلبت الجمعية من الخواجا شبلي جمل أن يطلع سيادتكم على تفاصيل ذلك ... هذا وفي الختام نرجو قبول فائق احتراماتنا .

جمعية الآداب ٩ كانون ثاني غ سنة ١٩٠٤

رئيس جمعية الآداب	عن كاتب الجمعية
داود صيداوي	عيسى داود عيسى

— ٤ —

كل كتاب من هذه الكتب له ترجمة انكليزية بجانبه صفحةً صفحةً ، لأن بلايث لم يحسن العربية ، وجمعية أسست لإعلاء شأن اللغة العربية ينتظر منها أن تكتب بهذه اللغة . ذكرنا سابقاً على سبيل الاستنتاج اهتمام الجمعية بالخطابة ، وهذه الكتب برهان على اهتمامها بشؤون التربية والتعليم . ويلاحظ الباحث في هذه الناحية من نشاط الجمعية أنها اختارت مدرسة من بين مدارس كثيرة في مدينة القدس ، فلم تكن هذه من المدارس الرسمية التركية ، ولم تكن من المدارس الوطنية الطائفية ، بل كانت مدرسة أجنبية تبشيرية . ولكن الجمعية وضعت ما يلزم من الشروط حتى يستفيد طلابها من مدرسة حديثة المنهج مع الاحتفاظ بتقاليدهم الدينية .

ولهذه الكتب فائدة أخرى وهي بيان أسلوب الكتابة في مطلع القرن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العشرين . فالناظر فيها يرى أثر التركية والعامية في استعمال كلمة « الممنونية » وكلمة « الأهالي » وقوله : « صار إرسال » ، ولكنه يرى على وجه الاجمال أن اللغة صحيحة والعبارة واضحة والاسلوب سهل . وظني أنها من إنشاء السكاكيني فقد عرف بذلك منذ ذلك العهد ، بدأ الحياة معلماً وظل مشتغلاً في شؤون التعليم حتى النهاية . كان قبل الحرب العالمية الأولى يعطي دروساً خاصة ، ويدير مدرسة خاصة عرفت بالدستورية لم تعمر طويلًا . والصورة التي نشرت في كتاب كراتشكوفسكي لأربعة من أدباء القدس وضع تحتها وصف لكل واحد منهم ، ووصف السكاكيني فيها بـ « المعلم » .

من الذين علمهم اللغة العربية من الأجانب رجل ألماني في قنصلية دولته في القدس . وكان هذا قد تعلم المبادىء والأصول قبل اتصاله بالسكاكيني . يقول هذا في يومياته عن ذلك : « أكملنا المقدمة لابن خلدون ، وقد كنت أحب أن لا يكون لابن خلدون هذه المقدمة الركيكة التي تلتزم السجع البارد المعقد » . ويقول عن نفسه في موضع آخر : « ليست معرفتي إلا نُتفاً من هنا وهناك لا تملأ دماغ طفل فضلًا عن دماغ رجل في سني » . عُيّن في إدارة معارف فلسطين مفتشاً ثانياً للغة العربية في مدارس الحكومة ، وكان المفتش الأول حينئذ إسعاف النشاشيبي ، فسبب ذلك خصاماً بين صديقين قديمين لكل منهما كفاءة معروفة في ناحية من اللغة والأدب . كان النشاشيبي عضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وأصبح السكاكيني عضواً في مجمع القاهرة بعد أشهر من وفاة نظيره . رحمهما الله .

عبد اللطيف الطيباوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net